إب في واجهة التاريخ

مدينة إب زاهية تجذب السائحين

إب الحاضر والمستقبل ..إب وجود يتحدى المتغيرات وتبقى الحياة متجددة في قلب اليمن البكر لكل جديد..

فإب مدينة قديمة ..مسورة على ربوة يطل عليها من الشرق سفح ريمان من بعدان ويفصل بين الربوة التي تقع عليها مدينة إب وسفح ريمان وادٍ ضيق تجري فيه مياه الأمطار يطلق عليه اسم (السابلة) (المرد) وقد انتشر حاليا البناء على سفح ريمان الذي تلتصق به ربوة المدينة والتي تسمى (العقبة) وإذا نظرت إلى مدينة إب القديمة المسورة من أعلى جبل بعدان يحدها على شكل مربع غير متساوي الأضلاع .

نعائم خالد

تحيط بمدينة إب القديمة المسورة جبال منها جبل بعدان الشامخ الذي يطل عليها من جهة الشرق وجبل التعكر الذي يحدها من جهة الجنوب وجبل المسواد من جهة الجنوب الشرقي بين بعدان والتعكر أما من جهة الغرب فتطل المدينة القديمة على وادي ظهار الواسع الذي كان يزرع (حنطة) وخضروات وفاكهة وهناك جبل ربي وخلفه عزلة (ثوب أسفل،وثوب أعلى) ثم عزلة (انامر أعلى انامر أسفل) ثم جبل وراق وكذلك يمكن مشاهدة جبل مشورة (اسمه القديم حصن نعمان) أما من جهة الشمال فتطل على وادي الهول وهذه ميزة إب تتنوع الجبال التي تحيط بها والأجمل بان لكل واد وجبل حكاية تحكى عن أجداد وجدوا حياة في هذا المكان المميز.

إب تبعد عن صنعاء (193) كم جنوبا وترتفع عن سطح البحر (2050)م تقريبا وتبعد عن تعز بحوالي 60 كم تتوسط الطريق بين صنعاء وعدن .

أما اسم إب فقد اختلفت المصادر في أصل تسمية إب فقد ذكر ياقوت الحموي في مخطوطه معجم البلدان أن اسم المدينة هو أب بالفتح والتشديد كذلك قال أبو سعيد والأب هو الزرع من قوله تعالى (وفاكهة وأبا) وهي بلدة في اليمن وينسب إليها أبو محمد بن الحسن بن الفياض الهاشمي وجاء في قاموس المنجد إن معنى أب الماء والعشب وأن إب هي مدينة في اليمن فيها سور قديم ومساجد أثرية ومن أغنى المناطق الزراعية في اليمن .

رحلة إلى أسوار إب

لم يرد هناك تفاصيل عن سور إب وأبوابها وإنما هناك إشارة في العديد من الدراسات فالرحالة الدنمركي نيبور الذي زار اليمن عام 1763م لم يهتم بوصف سور إب قدر اهتمامه بساقية الماء حيث قال إن إب تقع على مرتفع يحيط بها أسوار وأبراج والريحاني الذي زار إب عام 1922م قال في كتابه (ملوك العرب) أنها مدينة مسورة أما محمد علي صالح الصهباني الأبي وهو احد المهتمين بتاريخ إب أشار إلى أن السور كان يتوسع كلما زحف العمران وهناك آثار تدل على ذلك وآخر سور أقيم في إب هو الذي تم تجديده في عام 1120هـ في القرن الثامن عشر الميلادي والذي قام بتجديده كل من الوزيرين محسن بن علي الحبيشي الحريبي وأخيه صالح اثر هجوم قبيلة يافع على مدينة إب ونهبهم لها ومازالت بقايا الأسوار قائمة إلى أيامنا هذه والآن ندخل الأسوار من أضلاعه بوصف مصغر .

ضلع نوبة الحراسة

الضلع الجنوبي وهذا الركن يوجد به نوبة الحراسة ويرتبط بالضلع الشرقي ويمتد إلى الباب الجديد (باب الحكومة) ويلتقي الضلع الجنوبي بالغربي وهناك أربع نوبات أو أبراج الأولى مع بدايته والثاني في وسطه تقريبا حيث يتحدب الضلع قليلا وهو يتجه إلى نهايته عند الباب الجديد والطول لهذا الضلع المحصور في بدايته إلى نوبة بان ستيل المطلة على الشارع هي 87 متراً وعرض النوبة 12 متراً والمسافة من هذه النوبة إلى الثانية التي يتحدب عندها السور فهي 60 متراً يضاف عرض النوبة 9.40 م نجد إن مجموعها (168.40) سم /م .

وهناك فتحة في الضلع الجنوبي قبل نهايته ويقال إنها كانت عبارة عن فتحة نتيجة تهدم السور وحلت محله جدران البيوت وأصبح مدخلا للعامة بعد بناء الباب الجديد الذي يسمونه (باب الحكومة) المخصص للموظفين الحكوميين.

ونقطة التقاء الضلع الجنوبي بالغربي (الباب الجديد) من سور مدينة إب والذي لم يعد له اثر سوى طريق بعرض 10 م وحددت مديرية الآثار اليمنية مكان احد مساند الباب على الأرض حيث توجد بنايات عثمانية حكومية قديمة مثل دار الحكومة يمتد أمامها السور فإذا نظرت إلى هذا الجزء من السور من خارجه فستجد خمسة مساند صخرية ضخمة مقوسة الشكل تدعم السور وتقويه وتقع تحته بقايا سمسرة تسمى سمسرة الصنعاني والسمسرة هي الخان للمسافرين أي الفندق في أيامنا هذه .

أقصر أضلاع سور مدينة إب

يطل الضلع الشمالي وباب الراكزة على وادي السحول ولم يبق منه الا أجزاء قليلة نتيجة تشييد البيوت ولهذا الضلع ميزة هو باب الراكزة الذي يقع على بعد 200م من الضلع انه الباب الوحيد الذي مازال قائما على رغم انه اصغر حجما مقارنة بالأبواب الأخرى .باب الراكزة أصبح اقصر من المباني والأزقة نتيجة البناء المتراكم عبر السنين لذلك بني له من الداخل (عقبة) قصيرة ذات أربع مساطب للنزول إليه والخروج منه والبناء للباب نفس بناء باب سنبل والباب الكبير لمراعاة الجوانب الدفاعية والعسكرية عن المدينة .وان تكلمنا عن الأسوار لوجدنا الأجداد

جبل بعدان.. الخضرة لاتفارقه طوال السنة

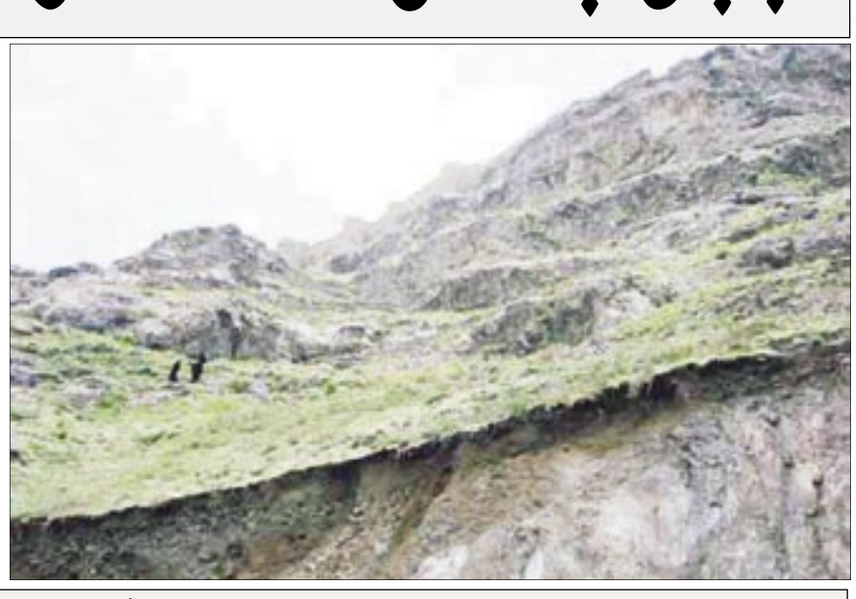

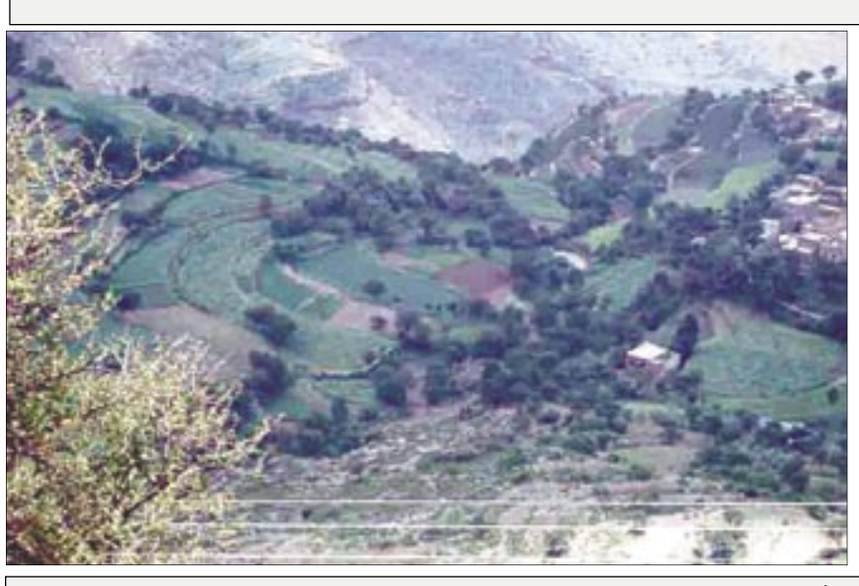

ميزة العمارة في إب أنها تأخذ شكل المنازل البرجية

نحتوا التاريخ بقوة الجبال التي عاشوا فيها .

ميزة العمارة في إب

إن ميزة العمارة في إب تأخذ شكل المنازل البرجية المبنية بالحجر وهو حجر محلي من المنطقة الجبلية التي تقع فيها المدينة وللحجر ألوان رمادية ووردية أو برتقالية تشيد المنازل بناء الأساس من الحجر الجرانيت المقاوم للرطوبة ويغطى بطبقة من القضاض (النورة) ويبلغ سمك الجدران للأساس متراً واحداً وبعدها يبنى عليها الطوابق المطلوبة ومن الملاحظ ان المنازل تزخرف أبوابها والعتبات الخشبية بنقوش كتابية مثل الأدعية والإشعار وتواريخ البناء.

تتكون إب من 33 حارة وهن حارة الحمام والجامع الكبير الراكزة والشمس والكاظمي وعقيل وعزب الجامع الكبير والمعطارة ودار الملك وحشملة والحمض والحاءة والنخلاني والمقري وسنبل والدجاج وميدان الجاءة وساحة الحوطة والغفران والسنى والبيحاني والمخلولة والميدان الأعلى والمدقة وباب النصر ..... الخ ويتخلل هذه الحارات شوارع وأزقة ضيقة مرصوفة بالأحجار تربط بين أطراف المدينة ومراكزها الرئيسية مثل المساجد والأسواق والميادين والمدارس والمكاتب وأزقة المدينة كونها ضيقة ومتعرجة ومتقاطعة ومرصوفة بالحجارة المربعة وبعضها بشكل ممرات مسقوفة والسقوف هذه تكون مسطحة او مقبابة تربط بين بيتين مثل باب الريشة وتزين نوافذ البيوت والواجهات المشربيات بيد رسام محترف ينتزع منها تعابيرها الكامنة في الأعماق .

كتابات الرحالة في وصف إب

يوجد فوق مدينة إب إلى جهة الشرق جبل نضر خصب اسمه جبل بعدان والخضرة لاتفارقه طول السنة بسبب كثرة مافيه من المياه والعيون وما ينزل فيه من الأمطار تزرع فيه أصناف الحبوب والبقول من قمح وشعير وذرة وعدس وفول وحمص ودخن وجلجلان وخشخاش والبصل والثوم والبطاطس والهندباء والفلفل والباذنجان ونحو ذلك ومن الفواكه الرمان والتين الشوكي والبن ومن الزهور الورد والياسمين والقرنفل وغير ذلك مما هو معروف في المناطق الباردة والحارة بسبب اعتداله وكثرة مائه.

هذا من قول الثعلبي ..

وقد رأينا من رأس هذا النقيل مدينة إب العظيمة زاهية عجبا ودلالا فوق الرؤوس الهضاب والتلال الراكعة تحت أقدامها وقد ازدانت هذه التلال والهضاب الكثيرة بالنباتات والأشجار فرأيت فيها الجوز والعنب والرمان والسفرجل والدراق والمشمش والاجاس والفجل والجزر والبقدونس إلى غير ذلك وقبل ان نصل إلى البلد بكيلو متر واحد تقريبا وجدنا ابن عاملها على الطريق في انتظارنا ولما اقبلنا عليه حيانا مرحبا ومهنئا بسلامة الوصول بالنيابة عن والده إسماعيل بك سلامة وبالأصالة عن نفسه فرددنا تحيته بأحسن منها وامتطى جواده وسار أمامنا إلى أن وصلنا إلى مدينة إب وقادنا حضرته إلى دار الحكومة حيث اعدوا مكانا لنزولنا)) نزيه مؤيد تقي بك العظيم الدمشقي .

جبلة والصليحي

والآن نحلق على أقدم المدن في إب (مدينة جبلة) سميت جبلة بهذا الاسم نسبة إلى رجل يمني يهودي كان يبيع الفخار في الموضع الذي بنيت فيه اسمه ذو جبلة تقع في في قاعدة سفح جبل التعكر في الشمال الشرقي منه ومن الجنوب الغربي من مدينة إب وترتفع عن سطح البحر بحوالي 2000م فمدينة جبلة حديثة العهد مقارنة بمدينة إب القديمة فإب بنيت في بداية عهد الصليحيين عندما بناها عبد الله محمد الصليحي سنة (458للهجرة / 1066م) حين كان واليا على حصن التعكر بأمر من أخيه مؤسس الدولة الصليحية الملك علي محمد الصليحي انتهت أهميتها السياسية بانتهاء حكم الصليحيين وبعد وفاة السيدة أروى بنت احمد الصليحي عام 532 للهجرة .

عند التجوال فيها ستجد العجب العجاب حيث قال فيها عبد الله بن علي الصليحي يصفها :

هب النسيم فيت كالحيران ... شوقا إلى الآهلين والجيران
ما مصر ما بغداد ماطبرية ... كمدينة قد حفها نهران
حدد لها شام وحب ومشرق ... وكذاك تعكرها المنيف يماني

إن آثار مدينة جبلة تتمثل بقصر الملكة أروى والجامع المجاور له والجامع الكبير الذي يحتوي ضريحها أما حصن تعكر فلم يتبق منه سوى لمدافن والبرك فان حصن تعكر عاصر حياة الملكة أروى في العيد من الحروب والحياة العملية فعاشت هناك وتوفت وكان ضريحها في حصن التعكر مدينة جبلة فهناك في جبلة الجامع الذي بنته الملكة أروى له الكثير من القصص والحكايات التي يرويها هناك الناس ..أما الأعجوبة مسبقة الملكة أروى الخشبية ذات الألف خرزة وعند خروجك من جبلة تجد على يمين الطريق جامع القبة حيث قبته كبيرة قياسا بالجوامع الأخرى وتسمى قبة الشيخ يعقوب ربما انه بناها او خل من بناها فيها قناة جميلة ويقول السكان ان النجمات السداسية الظاهرة على مايحيط بقاعدة القبة هي بفعل البناء اليهودي .

حصن تعكر

مبني على قمة واسعة كبيرة على أرضها أربع قمم أكبرها وأوسعها وأعلاها القمة التي عليها حصن التعكر فهي على شكل جسم مستطيل صلب يظهر واضحا من بعيد عند النظر إلى جبل التعكر من مدينة إب.

قمة الحصن كانت محاطة عند قاعدتها بسور حجري له منفذ واحد من جهة الشمال مازالت بقاياه موجودة للحصن سابقا كان له سوران الأول في قاعدة القمة والثاني في أعلاها ويحيط بالحصن .وعلى قمة الحصن تنظر حولك تتراءى أمامك جبال وتلال ومراعي خضراء ترى مدينة إب تتلألأ تحت أشعة الشمس بينما ترقد مدينة جبلة في قاعدة سفح الجبل ويتراءى نظرك إلى حصن حب والقرى متناثرة وسط السفوح الخضراء والمساجد والمآذن منتشرة في قراءة محاكية جميلة .

الخاتمة:

إب تحاكيك أيها الزائر بكل مايخطر ببالك من حضارة وتواجد.. حياة وأناس.. عظمة في التاريخ ..أسوار وحصون ..مآذن ومساجد ومزارع..جبال وقرى ..حياة مداعبة تأتيك من بعيد وتظهر لك من قريب إب الخضراء.. إب الحضارة فمازال موجود الكثير عنها وعن حصونها ... فهي مدينة سياحية تجمع بين عبق التاريخ والمستقبل من مزيج واحد متجانس.

مدينه إب جامعة الفصول الأربعة

بشرى عميقة

قليلة جدا تلك البقع من العالم أن تأسر الفرد وتجعله عبدا لها كلما مر طيف ذكرها .. هذه هي معبودتي مدينه الفصول الأربعة مدينة كل حاجة فيها تجعلك تشعر بالتوهان الرائع بين طبيعة مجنونة وخليط بشري تأقلموا وتجانسوا مع مدينتهم حتى أصبحوا رغم بساطتهم وطيبة قلوبهم أناساً متآلفين متآخين اخذوا من جمال الربيع ضحكاتهم التلقائية ومن الشتاء طيبه هدوئه الحالم ومن الصيف دفء شتائه ومن الخريف انسهم .

يحملونك تسقط همومك ومشاكلك كما تسقط الأشجار أوراقها خريفا تلك هي الثجة التي كانت وماتزال يحكي على وجهها أجمل حكايات الجمال وترسم على محياها أروع الصور الجمالية تتسع ببناياتها وعمارتها شيئاً فشيئاً لتتسع معها احتياجات ومقومات تجذب السائح وتبهر الزائر فهي في تغيير مستمر في ظل جو لايغيره دوران الكرة الأرضية أو فيضانات التسونامي .

والآن بعد أن مر على تاريخها المعاصر خمسة أعوام توجت فيها بمهرجانات متباينة حسب تباين مديرياتها شهدت خلالها هذه المدينة العديد من الفعاليات والانشطه التي ركزت عليها كدائرة تلتف حولها كافه عناوين وبرامج المهرجانات وكلما مر عام بتجربة جاء العام الآخر بأكثر التجارب نضجا وتنظيما وخبرة وفي هذه البرامج المهرجانية تتطلع كل مرة لأن تتخذ التغير ويؤثر هذا التغير لما هو دافع لهذا فمهرجان إب السياحي الخامس يأتي وليد تجربة نضجت لتجد هذا العام متنوع بطريقة تتوقع لها التميز وحتى لانفرط بالتفاؤل أو غير ذلك دعونا ندخل عيون تلك الراغدة على عتبة المدينة القديمة تلك المدينة المتعلقة بتاريخها ومعالمها .. المدينة التي وماتزال تقف بشموخ شاخصة ببصرها باتجاه الأمام رافعة اذرعها الحجرية ناحية تلك الغيوم التي أحببتها حتى الوله فلا تفارقها الا وقد عقدا عهدا على اجتماع آخر تجدها وهي متزينة بالشذاب والكاذي والريحان على سقوف منازلها العتيقة..

على براميل نحاسية او احواض حجرية تتهاوى كانها عارضة لفاتن لايقاوم المتأمل فيها كلما فكرت فيها تبهرك وكلما تقربت منها تعطرك باطيب الروائح ما ان تفكر في ولوج تلك البقعة الا ويلتفك الحلم في احتوائها وان كان هاجس المطابقة يجعلك من اول وهله تضنها من المدن القديمة الا انك تتوقف بذهول تام وانت تجد التغاير والتمايز مجرد ان تدس قدمك أول طريق او زقاق من ازقتها الضيقة لتجد العشب المبتل بالندى يصافحك لتقف بذهول منحنيا غضا عنك لتلتمسه وهو الذي عانى الأمرين لينبت من بين تلك الحجارة المرصوصة خرج وكأنه في مهمة رسمية كلفته بها هذه الاسره ليقبل القادمين مادًا أجزاءه بافتتان شديد معا أن ترتفع من تلك التحية لتصافحك صورة أخرى مشبعة بالخضرة لرفوف صغيرة تبرز من البيوت تضع الساد عليها أقاصيص الشذب لتلي هي الأخرى لك التحية ليكن تحيتها من نوع آخر فهي إذا تعزو لاتقبل أن تلمسها أنت او غيرك فهي حكر على مالكيها وما تأخذ مباح منها هي الرائحة والصورة ان كنت ممن يحبون اكتساب الصورة الرائعة للطبيعة المأسورة بين الحجر والطين وتطل وأنت تتعمق في اكتشافها تجعلك وأنت في عملية البحث عن القوى التي سكنت هذه المدينة التي كلما حاول اكتشافها الكثيرون تركت خلفهم علامات استفهام لنقص في شيء مالهذا وأنت في أعماقها عليك أنت تتعامل مع عناصر دقيقة يتسرب فيها حديث ودي إليك وعليك استيعابه بكل السحرية الناجمة عن أسطورة ربما تكون أسطورة اليمن الوحيد .

أفراح البخيتي

تكتشف بعد وهنا بالتأكيد وأنت تراقب احد المباني ذات الأدوار المتراصة بعناية خلط الطين والحجر والحلم بريدها النور رؤية أخرى لتفسر نظرية كيف يولد التاريخ بلا سطور على ورق من خلال تلك الحجارة المتراصة يمكنك أن تجد العبارات برقتها مكتوبة وماعليك سوى قراءتها بعناية وان كان السؤال الفضولي الذي يخرجك عن واقعيتك لنسبة اكبر من الجاذبية لاستفسار ترى كيف كون أولئك القدماء مثل هذه العقود والأبواب ليرتمي إليك مجموعة أخرى من الأسئلة تحولك إلى مجموعة من الاستفهامات المبهمة ليحتويك باب سنبل والبا الكبيربدرس مجاني لتجد الإجابات بطريقة تلقائية مفاجئة لايمكن التنبؤ بها كان مفاجئا كون طابع يتغير بتغير القراء فهذا مثلث الانحدار الشديد لك أما الأبواب الخشبية ذات العبارات والأرقام تجتمع لنواة تشكل حقبة زمنية مر بها أجدادنا وأدركوا أنهم أعظم منا فور ثوها للتحدى ... وهاهو تحد حقيقي يحتاج إلى عمر بل إلى أعمارنا لندرك كيف أن بناة هذه المدينة مبدعون حتى العبقرية ومع كل ثانية تمر عليك وأنت تكتب أو ترسم تتحدث أو تتأمل فانك بطيء جدا لتواكب تلك البقعة وما ينتج منها عن كثب ..لهذا لايتغرب زوارها وهم يتيهون في أزقتها أن الملامح متشابهة والأزقة متوا لفة متعانقة مع بعضها عمارات وحارات فلا تتأسف كثيرا كلما بحثت عن مخرج تجد نفسك في متعة توهان جديد لزقاق آخر له حديثة ومميزاته وان كان الشكل لايتغير عن سابقه وخاتة هذا الزقاق الذي يخرجك إلى ساحة ذات أربع فتحات لاندرك أي الاتجاهات تلك وان تجد صبية او فتيات يلعبون الحبل ولعبة الاشخاط ملتحمين مع تلك الهيئة تتعالى ضحكاتهم ومشاجراتهم وعباراتهم وخاصة وهم يهمسون بها لبعضهم البعض بترق شديد وهم يقرؤون على أعينك التوهان هل تريد السوق أسئلة أخرى يباغتوك بها ليستفيدوا اكبر قدر ممكن من توهانك البعض يرشدوك إلى الطريق وآخر يشير لآخر وثالثة تبتسم حيالهم وتقول أي زقاق تمشي عليه ستخرج منه ..ومع هذا أو بغياب كمية كبيرة من حالات الهرَوب من هذا التو هان تظل متمتعا وأنت تمضي الساعات لتعود مرة أخرى من حيث حاولت الخروج لتجد نفسك وأنت رغم ذلك المجهود لاتشعر بالتعب والظل الدائم يلاحقك وشعاع الشمس وهو يتسلل إليك باتخاذ تدابير كبيرة ومجهدة ليصل إليك باحثا عنك وكلما حاول هو التسرب بدون شعور فيك أتت باتجاه آخر تحاول أن تجده فتجد نفسك تسرقه بدون أن تشعر بتلك الأشعة وهي تقع على رأسك .

المدينة حياة لايمكن مقارنتها بالظهار او غيرها .. أنها مدينة تشعرك بالدفء والحياة ذلك العجوز المتمسك ببيئته وكأنه جزء من جسده تنبئك تجاعيد وجهه كم هي الحياة مجحفة بأهلها يتمتم كلما حدثته عن المدينة ليبادلك ببساطة شديدة تاريخها منذ ان حكاها له جده وكلما أسهب في تعقب تلك الأيام التي تتحرك بكل الاتجاهات وبشكل أسرع مما تدونه أخبارنا لهذا كنت اسمع من تلك الزاوية الضيقة لاصطبل صغير كان للحيوانات يتحدث هو الآخر بفضول شديد ولكن همسه هذا اكتشفت في حديثه ماعجز العجوز عن إيصاله خاصة وان تلك الندب التي على جداره أحدثوها حتى تكون دعائم لبيت مبني من أربعة ادوار كل دور يحتوي على غرف متعددة وكان ذلك الاصطبل محور ارتكاز يمكنه أيضا ان يحمل الكرة الأرضية بأسرها.